فتح القدير

بما ورد في حسنة الدنيا

من تفاسير

إعداد

أحمد علي سالم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

شبكة الألوكة

www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ملخص البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

يأتي هذا البحث لجمع أقوال المفسرين حول معنى حسنة الدنيا، والتي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى في ست آيات كريمة، ويسلط الضوء على تنوّع سياقات ذكر الحسنة الدنيوية في القرآن الكريم، وعلى الفائزين بها مِن أهل الفضلِ والصلاح، سواء مِن الأنبياء والمرسلين، كنبيّ الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو الصحابة الكرام، أو مَن سار على دربهم مِن المؤمنين إلى قيام الساعة.

وقد جاء البحث محتويا على مقدمة، وفيها أهمية الموضوع، وخطة البحث، ثم التمهيد وفيه معنى الحسنة في اللغة وفي الاصطلاح، والأوجه التي جاءت عليها الحسنة في القرآن الكريم، ثم أربعة مطالب، اختص المطلب الأول ببيان الثناء على نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بحسنة الدنيا، واختص المطلب الثاني بالحديث عن طلب نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الحسنة الدنيوية لقومه، والمطلب الثالث في بيان فوز الصحابة الكرام بالحسنة الدنيوية، بينما جاء المطلب الرابع لبيان حصول عموم المؤمنين على حسنة الدنيا، وعلى فضل الدعاء بحسنة الدنيا، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، وأخيرا قائمة بمراجع البحث ومصادره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فمِن المقرر شرعا وواقعا أنَّ كتاب الله تعالى هو مصدر كل خير، ومنبع كل الفوائد، وبه تسمو الأرواح والقلوب، ويسير المؤمن في طريقه إلى ربه علام الغيوب، مقتبسا مِن أنواره، وملتمسا مِن بركاته؛ إذ إنه الكتاب الخالد، والمعجزة الباقية، والذكر العزيز ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فُصِّلَت:٤١، ٤٢]

وهو عزُّ الأمة وشرفها وروحها ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:١٠] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى:٥٢]

هذا وإنَّ كُلّ عَاقِلٍ على وجهِ البسيطة يسعى إلى تحصيل السعادة وأسبابها، ويبذل في سبيلها كلَّ ما يستطيع، ويُشَرِّقُ البَعضُ ويُغَرِّب، ويُصَوِّبُ وجهَهُ هنا وهنالك باحثا عن السَّعادة.

والمسلمُ الذي آمَن بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيّا ورسولا، لا محالة يعيش سعيدا راضيا، مهما عصفت به الأزمات، ومهما تعرَّضَ للنكبات، ولِمَ لا وهو الذي آمَن وأيقن بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ... الآية﴾ [النحل: ٩٧] فالمسلم الحق يلتمس في كتاب ربه سبحانه وتعالى السعادة، ويقتبس مِنه كل الوسائل التي توصله إلى السعادة في الدارين.

ومِن هذا المنطلق ألهمني ربي سبحانه وتعالى أن أكتب هذا البحث في بيان معنى "حسنة الدنيا"، وذلك من خلال جمع الآيات التي ورد فيه الحديثُ عن الحسنة الدنيوية، وهي ست آيات كريمة وردت في سياقات متنوعة، منها: الثناء بها على سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإعطاؤه إياها، ومنها: دعاء بني إسرائيل وطلبها من الله جل وعلا، ومنها المكافأة للصحابة الكرام، ولمن بعدهم مِن المتقين، ودعاء المؤمنين وطلبها من الله تعالى، وهي سياقات نحتاجها جميعا، ونرجو الله تعالى أن نكون من أهلها، ومن الحائزين عليها، فمَنْ حَازَها فقد حصل له كلُّ خير دنيوي، وعاش قرير العين، مرتاح البال سعيدا بفضل الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **أهمية الموضوع**:

تتجلى أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

١. ارتباطُه بالقرآن الكريم؛ فأهميةُ العلم وشرفُه على قدر أهمية المتعلَّق به.

٢. جمع ما تفرَّق في بعض آيات القرآن الكريم، والإسهامُ في إثراءِ المكتبة القرآنية، وبخاصة في التفسير الموضوعي، بموضوع جديد لم يُتناول من قبل -على حد علمي-

٣. إشعار المسلم بأهمية طلب حسنة الدنيا، وبيان عظيم فضل الله على عباده المؤمنين.

٤. إبراز مكانة الفئة الفائزة بحسنة الدنيا، وضرورة التأسي بهم.

٥. التعرف على أقوال المفسرين حول معنى حسنة الدنيا، ومحاولة الجمع بين أقوالهم.

٦. تصحيح مفهوم حسنة الدنيا، أو بالأحرى تحديد مفهومها.

❁ **حدود البحث**: سوف يكون البحث مقتصرا على الآيات التي وردت فيها (حسنة الدنيا) وهي ست آيات كريمات، على أنه يمكن إدخال بعض الآيات الأخرى التي ورد فيها معنى الحسنة الدنيوية[1]، لكنني آثرت الاقتصار على الآيات الست التي وردت بلفظ الحسنة في الدنيا فقط.

❁ **خطة البحث**:

وتشتمل خطة البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة:

المقدمة، وفيها: (أهمية الموضوع، وخطة البحث).

التمهيد: وفيه معنى الحسنة في اللغة والشرع.

المطلب الأول: حصول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على حسنة الدنيا.

المطلب الثاني: طلب نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حسنة الدنيا لقومه.

المطلب الثالث: حصول الصحابة الكرام على حسنة الدنيا.

المطلب الرابع: سؤال المؤمنين حسنة الدنيا، والمراد بها.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

---

(١) مِن هذه الآيات على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ... الآية﴾[التوبة:٥٠] قال السمرقندي رحمه الله: يعني: إن أصابك الغنيمة والنصر ساءهم ذلك. تفسير السمرقندي (٦٤/٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ تمهيد:

الحسنة لغة واصطلاحا:

الحاء والسين والنون أصل واحد فَالحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ. يُقَالُ رَجُلٌ حَسَنٌ وَامْرَأَةٌ حَسْنَاءُ وَحُسَّانَةٌ.(١)، والحَسَنَةُ: خلاف السيِّئة. والمَحاسِنُ: خلاف المساوي. والحسنى: خلاف السوأى.(٢)

وقال الراغب رحمه الله: (الحُسْنُ عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه؛ وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس، والحسنةُ يعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله).(٣)

الحسنة في القرآن الكريم:

ذكر أهل التَّفْسِير أَن الحَسَنَة فِي القُرآن على سِتَّة أوجه:

أحدهَا: التَّوحِيد. ومنه قوله تعالى: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ**﴾[النمل:٨٩]

والثاني: النَّصر والغنيمة. ومنه قوله تعالى: فِي آل عمرَان: ﴿**إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا**﴾[آل عمران:١٢٠]

والثالث: المطَر وَالخصب. ومنه قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ**﴾[الأعراف:١٣١]

وَالرَّابِع: العَافِيَة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ**﴾[الرعد:٦]

والخامس: قَول المَعرُوف، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ**﴾[القصص:٥٤]

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٥٧/٢).
(٢) الصحاح للجوهري (٢٠٩٩/٥) مادة "حسن"
(٣) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص: ٢٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسادس: فعل نوع من الخَير، ومنه قوله تعالى: ﴿**مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا**﴾[الأنعام: ١٦٠].[١]

ونخلص مما سبق إلى أن الحسنة يُعبّر عنها عن كلّ ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله.

ومِن فضلِ الله تعالى، وعدله بين خلقه، أنه لا يضيع عمل أحد مِن الناس، وهذا المعنى ورد في السنة النبوية، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يُعْطَى بها في الدنيا، ويُجزَى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَمُ بحسنات ما عَمِلَ بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يُجْزَى بها» وفي رواية أخرى عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا أنه حدَّث عن رسول الله ﷺ: «إن الكافرَ إذا عمل حسنةً أُطعِمَ بها طُعْمةً من الدنيا، وأما المؤمن، فإنَّ الله يَدَّخِرُ له حسناته في الآخرة، ويُعْقِبُه رزقا في الدنيا على طاعته»[٢]

قال **النووي** رحمه الله: (أجمعَ العلماءُ على أنَّ الكافرَ الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يُجَازَى فيها بشيءٍ من عمله في الدنيا متقربا إلى الله تعالى، وصرّح في هذا الحديث بأن يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي بما فعله متقربا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلةِ الرحم والصدقة والعتق والضيافة، وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيُدَّخر له حسناته، وثواب أعماله إلى الآخرة، ويُجْزَى بها مع ذلك أيضا فى الدنيا، ولا مانع مِن جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده).[٣]

وهكذا يتبيّنُ لنا أن النبي ﷺ حدَّثنا عن الحسنة الدنيوية، وأنه قد ينالها الكافر نظير ما يقدمه مِن أعمال طيبة، وكذلك يحصل عليها المؤمن، ويُزاد له في الآخرة الحسنة الأخروية، وهي النعيم المقيم في الجنة إن شاء الله.

---

(١) باختصار من نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص: ٢٥٩، ٢٦٠.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، (٤/٢١٦٢) برقم: ٢٨٠٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* المطلب الأول: حصول الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على حسنة الدنيا.

في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النحل:١٢٢]

من هذا الموضع نبدأ رحلتنا مع الحسنة الدنيوية، حيث الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتأتي هذه الآية الكريمة في سياق مفعمٍ بالثناءِ العَطِر مِن اللهِ تعالى على أبي الأنبياء، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[النحل:١٢٠، ١٢١]

ففي الآيتين يشهد الله ربُّ العالمين لنبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بكونهِ مِن معلِّمي الناسِ الخيرَ المقتدى بهم بين الخلق، وأنه كان مِن الموحِّدين، ومن النَّابِذين للشرك، والمفردين الله تعالى بالعبادة؛ ثم يخبر سبحانه وتعالى عن صفة أخرى تميَّزَ بها خليل الرحمن، وهي عظيم شكرِهِ لله تعالى على ما أولاه إياه من النعم الظاهرة والباطنة، ومِن أعظِمِها الاصطفاء للرسالة، فكان جَزَاؤُه عند الله الهدايةَ والرشاد، والحسنة الدنيوية.

◈تحديد معنى الحسنة في الدنيا التي حصلها خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

اختلفت عبارات المفسرين في معنى الحسنة الدنيوية في هذا الموضع، فيقول الإمام الطبري رحمه الله: (وآتينا إبراهيم على قنوته لله، وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكرًا حسنا، وثناءً جميلا باقيا على الأيام)

ثم ساق مجموعة مِن الآثار التي تؤيد تفسيره، منها: عن مجاهد وغيره: (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال: (لسانَ صِدق). وقريب مِن ذلك عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) فليس من أهل دين إلا يتولاه ويرضاه.(١)

(١) جامع البيان (٣١٩/١٧). وقال أبو حيان: قال قتادة: حببه الله تعالى إلى كل الخلق، فكل أهل الأديان يتولونه اليهود والنصارى والمسلمون، وخصوصا كفار قريش، فإن فخرهم إنما هو به). البحر المحيط (٦١٠/٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول **السمرقندي** رحمه الله: (أكرمناه بالثناء الحسن. ويقال: بالنبوة. ويقال: بالولد الطيب).[١]

وقال **الثعلبي** رحمه الله: ("وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً" يعني الرسالة والحكمة والثناء الحسن).

ثم نقل رحمه الله قولا وجيها، وهو عن مقاتل: يعني الصلوات في قول هذه الأمة: اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد، كما صليت على إبراهيم. وقيل: أولادا أبرارا على الكبر. وقيل: القبول العام في جميع الأمم.[٢]

وحكى **الماوردي** رحمه الله ما سبق مِن أقوال، وزاد عليها: (أنها تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربه. حكاه ابن عيسى. ويحتمل: أنه بقاء ضيافته، وزيارة الأمم لقبره).[٣]

وزاد **الواحدي** رحمه الله: (عن عطاء: يريد الصدق والوفاء والعبادة).[٤] وقيل: الحسنة هنا لنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: المال يصرفه في الخير والبر.[٥]

ورَجَّحَ **ابن عطية** رحمه الله أن المراد بالحسنة الدنيوية الحاصلة للخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هي لسان الصدق، وإمامته لجميع الخلق، ونسب هذا القول **لجميع المفسرين** وذلك أن كل أمة متشرعة فهي مُقِرَّةٌ أن إيمانها إيمان إبراهيم، وأنه قدوتها.[٦]

◈ التعليق:

يتلخص مما سبق أن المفسرين ذكروا عدة أقوال في تعيين حسنة الدنيا للخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أهمها:

١. الذكر الحسن، والثناء الجميل.

٢. الرسالة والنبوة.

٣. الولد الطيب، أو الأولاد البررة.

---

(١) تفسير السمرقندي (٢/٢٩٦).

(٢) الكشف والبيان (٦/٥٠).

(٣) النكت والعيون (٣/٢١٩).

(٤) البسيط (١٣/٢٢٧).

(٥) البحر المحيط (٦/٦١٠).

(٦) بتصرف يسير من المحرر الوجيز (٣/٤٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤. الحكمة.
٥. القبول العام في جميع الأمم، وهذا راجع إلى الأول.
٦. الصلوات عليه مقرونًا بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ.
٧. بقاء ضيافته، وزيارة الأمم لقبره.
٨. الصدق والوفاء والعبادة.
٩. المال يصرفه في الخير والبر.

وهذه الأقوال التي ساقها المفسرون جميعها محتملة ومتقاربة، ولا مانع من تحققها كلها في حق نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ إن هذه الأقوال يفسر أصحابها الحسنة الدنيوية بمثال أو نموذج من المعاني الكثيرة التي تشتمل على الحُسْنِ، وتحتملها الكلمة، وإلى هذا ذهب الأكابر مِن المفسرين.

قال **الواحدي** رحمه الله بعد أن أورد بعضًا مِن هذه الأقوال: (وهذه الأقوال متقاربة، وجملتها تعود إلى تنويه الله بِذِكْره في الدنيا بطاعته لربه، ومسارعته إلى مرضاته، وإخلاصه في عبادته، حتى صار إمامًا يُقْتَدَى به).(١)

ويعلق القرطبي رحمه الله بتعليق بديع يعكس سعة نظرته لمعنى الحسنة الدنيوية – بعد أن حكى الأقوال السابقة– قائلا: (وكُلُّ ذَلِكَ أَعطَاهُ اللَّهُ، وَزَادَهُ ﷺ).(٢)

ويزيد **ابن كثير** رحمه الله تجلية هذا المعنى بقوله: قَوْلُهُ: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أَيْ: جَمَعْنَا لَهُ خَيْرَ الدُّنْيَا مِنْ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ الْمُؤْمِنُ إِلَيْهِ فِي إِكْمَالِ حَيَاتِهِ الطَّيِّبَةِ).(٣)

وهكذا نجد كبار المفسرين يحملون الحسنة الدنيوية لنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على العموم، فقد اصطفاه الله واجتباه للرسالة، وصار أبَ الأنبياءِ والمرسلين، ثم أكرمه سبحانه وتعالى بالأولاد البررة الطيبين، الأنبياء الصالحين، وجعَلَ له لسانَ صدقٍ في الآخِرين، فما مِن مصلٍّ إلا ويلهج لسانه بالصلاة والتبريك عليه وعلى آله في العالمين.

(١) البسيط (٢٢٧/١٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩٨/١٠).
(٣) تفسير القرآن العظيم (٦١١/٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❋ المطلب الثاني: طلب نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حسنة الدنيا لقومه.

في قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ...﴾[الأعراف:١٥٦]

يأتي الموضع الثاني مِن كتاب الله تعالى عن موضوع حسنة الدنيا في سياق الحديث عن بني إسرائيل، وحالِهم مع نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال سبحانه: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾[الأعراف:١٥٥]

والمعنى: واختار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قومه سبعين رجلا للوقت والأجل الذي وعده الله أن يلقاه فيه بهم، للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر عبادة العجل.

عن السُدِّي، قال: (إن الله أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأتيَه في ناسٍ من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدًا، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته، فأرناه! فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يبكي ويدعو الله ويقول: رَبِّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم، لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاي!)[١]

ثم قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ متأسفا حزينا: "أتهلكنا بما فعل السفهاء منا"، والمراد بهم: عبدة العجل. "إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء" أي: ما هذه الفعلة التي فعلَها قومي، مِن عبادتهم ما عبَدُوا دونك، إلا فتنة منك أصَابتهم، ويعني ب"الفتنة": الابتلاء والاختبار، "أنت ولينا"، يقول: أنت ناصرنا. "فاغفر لنا"، يقول: فاستر علينا ذنوبَنا بتركك عقابَنا عليها "وارحمنا"، أي: تَعَطَّفْ علينا برحمتك، "وأنت خير الغافرين"، يقول: خير من صَفَح عن جُرم، وسَتر على ذنب.[٢]

---

(١) جامع البيان للطبري (١٣/١٤٠).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٣/١٤٠ -١٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❋ المقصود بالحسنة الدنيوية التي طلبها سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ثمّ يواصل نبيُّ اللهِ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اعتذاره إلى الله تعالى عمَّا فعله السفهاء مِن قومه، ويطلب من الله تعالى المزيد من خير في هذه الدنيا:﴿**وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ...**﴾[الأعراف:١٥٦]

وهنا موضعُ الشاهدِ، فها هو نبيُّ الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يرجو الله تعالى له ولقومه الظَفَرَ بحسنة الدنيا. وهذه طائفة مِن أقوال المفسرين في بيان وتحديد معنى حسنة الدنيا التي طلبها نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قال **ابن جرير** رحمه الله: (أي: اجعلنا ممن كتَبت له "في هذه الدنيا حسنَةً"، وهي الصالحات من الأعمال).(١)

وقال **السمرقندي** رحمه الله: ("وَاكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً" يعني: اقضِ لنا، وأعطنا في الدنيا العلمَ والعبادةَ والنُّصْرةَ والرزقَ الحسنَ الحلالَ).(٢)

وقال **الماوردي** رحمه الله: (في الحسنة هنا ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها النعمة، سُمِّيَتْ حسنةً لِحُسْنِ موقعها في النفوس. والثاني: أنها الثناء الصالح. والثالث: أنها مستحقات الطاعة)(٣).

وقال **ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الآية في هذه السورة: (يريد: اقبل وفادتنا، ورُدَّنَا بالمغفرة والرحمة)(٤). وقال **البغوي** رحمه الله: ({فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً} النِّعْمَةَ وَالْعَافِيَةَ).(٥)

وقال **الزمخشري** رحمه الله: (واقْسِمْ في هذه الدنيا حسنة عافية، وحياة طيبة وتوفيقا في الطاعة).(٦)

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١٥٢). وينظر: الكشف والبيان (٢٩٠/٤)، زاد المسير (١٥٩/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٩٦/٧).

(٢) تفسير السمرقندي (٥٥٥/١).

(٣) النكت والعيون (٢٦٦/٢).

(٤) البسيط (٣٩١/٩)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٧٨/٣)، وروح المعاني للألوسي (٧٢/٥).

(٥) معالم التنزيل (٢٧٨/٣).

(٦) الكشاف (١٦٥/٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

◈ **التعليق**:

مما سبق يتبين أن المفسرين اختلفوا في تحديد الحسنة الدنيوية على عدة أقوال:

أهمها:

١. الصالحات من الأعمال.

٢. العلمَ والعبادةَ.

٣. النُّصْرةَ.

٤. الرزقَ الحسنَ الحلالَ.

٥. النِّعْمَةَ وَالْعَافِيَةَ.

٦. الثناء الصالح.

٧. مستحقات الطاعة.

٨. المغفرة والرحمة.

والراجح والله أعلم أن الحسنةَ الدنيوية في دعاء سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُراد بها عمومُ كل حَسَنٍ، وهذا ما قرَّره جِلَّةُ المفسرين، ومنهم على سبيل المثال **ابن عطية، حيث** قال: (وحَسَنَةً: لفظ عامٌّ في كل ما يَحْسُنُ في الدنيا من عافيةٍ وغنى وطاعةٍ لله تعالى، وغير ذلك).[١]

وكذا **أبو حيَّان** رحمه الله يقول: (والأجود حمل الحسنة على ما يَحْسُنُ من نعمة وطاعة، وغير ذلك).[٢]

وهذا أيضا ما جَنَحَ إليه **ابن كثير** رحمه الله، فإنه لمَّا أتى عند تفسير آية سورة الأعراف، أحال إلى آية سورة البقرة، وهذا يعني أنه يفسرها بعموم النفع والخير[٣].

(١) المحرر (٢/٤٦٠).

(٢) البحر المحيط (٥/١٩٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ المطلب الثالث: حصول الصحابة رضوان الله عليهم على حسنة الدنيا.

يأتي تحتَ هذا المطلب ثلاثة مواضع تُحدّثنا عن فوز أصحاب رسول الله ﷺ بالحسنة الدنيوية، وهي كالآتي:

◈ **الموضع الأول: قوله تعالى:** ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[النحل: ٣٠]

تأتي هذه الآية الكريمة في سياق المقارنة بين فريقين، فريق الكفار الجاحدين، وفريق المؤمنين الموقنين، فبعدما ذكر الله تعالى مقالة الكفار، وردَّهم المنبئ عن جحودهم واستكبارهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]

ذكر مقالةَ المؤمنين الصَّادقين، وبيَّن لنا فضلَهُم، وكيف أنهم نطقوا بما يدل على قوة إيمانهم بربهم سبحانه وتعالى، وأتبع ذلك ببيان الجزاء والمكافأة التي يتفضل الله بها عليهم.

ويذكر لنا **الثعلبي** رحمه الله ملابسات نزول هذه الآية الكريمة فيقول: (كان أحياء العرب يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه، فيقولون: شاعر وساحر وكاهن وكاذب ومجنون ويفرّق الإخوان ويقولون: إنه لو لم تلقه خير لك، فيقول السائل: أنا شرّ داخل إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة وأستطلع أمر محمّد أو ألقاه، فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث، فذلك قوله تعالى: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً).[١]

وقال **ابن كثير** رحمه الله: (هذا خبر عن السعداء، بخلاف ما أخبر به عن الأشقياء، فإن أولئك قيل لهم: {ماذا أنزل ربكم} فقالوا معرضين عن الجواب: لم يُنزِلْ شيئا، إنما هذا أساطير الأولين. وهؤلاء {قالوا خيرا} أي: أنزل خيرا، أي: رحمة وبركة وحسنا لمن اتبعه وآمن به).[٢]

---

(١) الكشف والبيان (١٤/٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٦٨/٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❋ معنى الحسنة الدنيوية في الآية الكريمة:

اختلفت عبارات المفسرين في معنى الحسنة في الآية، فذهب الطبري والثعلبي إلى أنها : كرامة من الله.(١) وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (يريد مضعفة بعشر).(٢)

ويضيف **البغوي** رحمه الله إضافة إلى ما سبق من أقوال قولَيْنِ آخَرَين: (قال الضَّحَاكُ: هي النَّصرُ والفَتْحُ. وقال مُجَاهِد: هي الرِّزقُ الحَسَنُ).(٣)

وقال **الرازي** رحمه الله: (وتلك الحسنة هي الثواب العظيم).(٤)

وقال **القرطبي** رحمه الله: (وَالحَسَنَةُ هنا: الجَنَّةُ، أَي مَن أَطَاعَ اللَّهَ فَلَهُ الجَنَّةُ غَدًا. وقيل:" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا" اليَومَ حَسَنَةٌ في الدُّنيَا مِنَ النَّصْرِ والفَتحِ والغَنِيمَةِ).(٥)

وقال **ابن عاشور** رحمه الله: (وحسنة الدنيا هي الحياة الطيبة، وما فتح الله لهم من زهرة الدنيا مع نعمة الإيمان).(٦)

وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا إلى آخر الآية، هل هو كلام مستأنف من الله تعالى، أم هو متصل بما قبله من كلام المتقين الذين قالوا أنزل ربنا خيرا؟

ويلخص لنا هذا الخلاف **ابن عطية** رحمه الله قائلا: (واختلف المتأوّلون في قوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا إلى آخر الآية، فقالت فرقة: هو ابتداء كلام من الله مقطوع مما قبله، لكنه بالمعنى وعد متصل بذكر إحسان المتقين في مقالتهم، وقالت فرقة: هو مِن كلام الذين قالُوا خَيرا، وهو تفسير للخير الذي أنزل الله في الوحي على نبينا خبرا أنَّ من أحسن في الدنيا بطاعة فله حسنة في الدنيا، ونعيم في الآخرة بدخول الجنة).(٧)

---

(١) جامع البيان (١٩٧/١٧)، والكشف والبيان (١٥/٦)، ومعالم التنزيل (١٧/٥).
(٢) البسيط (٥١/١٣)، ومعالم التنزيل (١٧/٥).
(٣) معالم التنزيل (١٧/٥).
(٤) مفاتيح الغيب (٢٠١/٢٠).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٠٠/١٠).
(٦) التحرير والتنوير (١٤٢/١٤).
(٧) المحرر (٣٩٠/٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورجَّح **أبو حيان** رحمه الله أنَّ قوله تعالى: "للذين أحسنوا..." مِن قول المؤمنين، فقال: (والظاهر أن قوله: للذين، مندرج تحت القول، وهو تفسير للخير الذي أنزله الله في الوحي: أن من أحسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة بدخول الجنة).(١)

◈ **الموضع الثاني**: **قوله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[النحل:٤١]

يأتي هذا الموضع ليُحَدِّثَنَا عن فئة مباركة مِمَّن خَدَمُوا هذا الدينَ العظيم، وبذلوا لأجله دمائَهم وأموالَهم وأرضهم، وكلَّ ما يملكون، إنهم الفئة الأولى في صفوف الأمَّةِ الإسلامية، الذين نصروا الله ورسوله، فاستحقوا الثناء الجميل، والثواب الجزيل. قال ربنا في حقهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ... الآية﴾[التوبة:١٠٠]

ومِن جُملةِ هذا العطاء الإلهيّ المهاجرين رضوان الله عليهم أجمعين أنْ مَنَّ الله عليهم بحسنةِ الدنيا؛ جزاء وفاقا لهم على تضحياتهم.

❋ أولا: تحديد المهاجرين الحائزين على الحسنة الدنيوية.

اختلف المفسرون حول المقصود بالمهاجرين في الآية الكريمة، هل هم ستة معيَّنون، أم هم المهاجرون إلى أرض الحبشة، أم المهاجرون إلى المدينة المنورة، أم أن الآية عامة وتشمل الجميع؟

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

✯ **أحدها**: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، بلالٍ، وعمار، وصهيب، وخبَّاب بن الأرتِّ، وعايش وجبر مَولَيان لقريش، أخذهم أهل مكة فجعلوا يُعذِّبونهم، ليردُّوهم عن الإسلام، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

✯ **والثاني**: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، قاله داود بن أبي هند.

---

(١) البحر المحيط (٥٢٦/٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

★ **والثالث:** أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، قاله قتادة.(١)

وروى **الطبري** رحمه الله عن قتادة، قوله: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) قال: هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف منهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين).(٢)

◈ **والراجح والله أعلم** أن المراد جميع المهاجرين، سواء الستة المذكورين، أو مَن هاجروا إلى الحبشة، أو مَنْ هاجروا إلى المدينة، وذلك للأسباب الآتية:

١. ما عليه جمهور العلماء مِن أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢. اختيار طائفة مِن المفسرين أنها تعم الكل.

ومِنْ هؤلاء: **الإمام النحاس** رحمه الله حيث قال: (والذي يوجب جملة الكلام أن يكون عاما).(٣) **وقال القرطبي** رحمه الله: (والآيَةُ تَعُمُّ الجَميعَ).(٤)، وكذلك قال **أبو حيَّان** رحمه الله: (والذين هاجروا، عموم في المهاجرين كائنا ما كانوا، فيشمل أولهم وآخرهم).(٥)

وذهب إلى ذلك أيضا مِن المفسرين مَنْ رأى أن الآية الكريمة نزَلَت في شأن المهاجرين إلى الحبشة، بل وجعَلَ ذلك رأيَ جمهورِ المفسّرين، وهو الإمام ابن عطية رحمه الله، حيث قال: لما ذكر الله تعالى كفار مكة الذين أقسموا أن الله لا يبعث من يموت، ورد على قولهم، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم، وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة، هذا قول الجمهور، وهو الصحيح في سبب الآية، لأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية، ثم ضَعَّف القولَ بأنها نَزَلتْ في أبي جندل بن سهيل بن عمرو، ثم قال رحمه الله: **وعلى كلِّ قولٍ فالآيةُ تتناول بالمعنى كلَّ من هاجر أولا وآخرا.**(٦)

---

(١) زاد المسير (٥٦٠/٢).
(٢) جامع البيان (٢٠٦/١٣).
(٣) معاني القرآن (٦٧/٤).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠٧/١٠).
(٥) البحر المحيط (٥٣١/٦).
(٦) المحرر الوجيز (٣٩٤/٣) باختصار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال **الدكتور محمد سيد طنطاوي** رحمه الله: (والذي نراه أن الآية الكريمة تشمل هؤلاء، وتشمل غيرهم ممن هاجر من بلده إلى غيرها، رجاء ثواب الله، وخدمة لدينه).[١]

وهذا تعميم طيب من الشيخ يرحمه الله، وأقوال السابقين من المفسرين المعتبرين تسعفه في ذهابه إلى عمومها لكل مَن هَاجر في الله، وكذلك قاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا ما برر به الألوسي رحمه الله، وعلل اختيار بعض المفسرين عموم الآية وشمولها لكل المهاجرين، قال رحمه الله: (وقال بعضهم: إن الذين هاجروا عام في المهاجرين كائنا من كان، فيشمل أولَهم وآخرَهم، وكأنَّ هذا من قائله اعتبارٌ لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، كما هو المقرر عندهم).[٢] والله أعلم.

❋ ثانيا: المقصود بالحسنة الدنيوية في الآية الكريمة.

اختلفت عباراتُ المُفسِّرين حولَ المراد بحسنة الدنيا الحاصلة للمهاجرين، كما سبق وأن اختلفوا فيها في الموضعين السابقين، فيقول **الطبري** رحمه الله: وقوله: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكاره في ذات الله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) يقول: لنسكننهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا).

وهذا هو المعنى الأول الذي فسَّر به الطبري رحمه الله معنى الحسنة في الدنيا، ثم ساق ما يؤيد هذا التفسيرَ ويجلِّيه ببعض الآثار، منها: عن قتادة، قوله (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) قال: هؤلاء أصحاب محمد ظلمهم أهل مكة، فأخرجوهم من ديارهم حتى لحق طوائف نهم بالحبشة، ثم بوأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارا من المؤمنين). وعن الشعبي: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) قال: المدينة).

ثم ذكر تفسيرا ثانيا محتملا للحسنة الدنيوية التي كوفئ بها السادة المهاجرون، فقال: قال آخرون: عنى بقوله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) لنرزقهم في الدنيا رزقا حسنا، وروى

---

(١) التفسير الوسيط (١٥٣/٨).
(٢) روح المعاني (٣٨٥/٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أثرا عن مجاهد، وآخر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان إذا أعطى الرجلَ من المهاجرين عطاءه يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا، وما ذخره لك في الآخرة أفضل. ثم تلا هذه الآية (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).

ثم رجَّح رحمه الله القول الأول، بأن المراد بالحسنة في الدنيا للمهاجرين هو إسكانهم المدينة المنورة.(١)

وإذا انتقلنا إلى **الإمام السمرقندي والثعلبي** رحمهما الله فإننا نجد أنهما يفسِّران الحسنةَ الدنيويةَ في هذا الموضع أيضا بأنها إسكان المهاجرين المدينة المنورة، وزادا عليها أمرا آخر هو مِن لازم الانتقال إلى المرحلة المدنية، وهو تحصيل الغنائم، بعدما شرَعَ الله القتال.

قال **السمرقندي** رحمه الله: (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً أي: لننزلنهم بالمدينة ولنعطينَّهم الغنيمة).(٢) وقال **الثعلبي** رحمه الله كذلك: ("لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً": أنزلهم المدينة، وأطعمهم الغنيمة).(٣)

ثم يُفصِّلُ **ابن الجوزي** رحمه الله جَامعًا أقوال المفسّرين في معنى حسنة الدنيا هنا فيقول: (وفيها **خمسة أقوال:**

أحدها: لننزلنّهم المدينة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، والشعبي، وقتادة، فيكون المعنى: لَنُبَوِّئَنَّهم داراً حسنة وبلدة حسنة.

و**الثاني:** لنرزقنَّهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد.

والثالث: النصر على العدوِّ، قاله الضَّحّاك.

والرابع: أنه ما بَقِيَ بعدهم من الثناءِ الحسن، وصارَ لأولادهم من الشَّرف، ذكره الماوردي، وقد روي معناه عن مجاهد، فروى عنه ابن أبي نجيح أنه قال: لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً قال: لسان صادق.

و**الخامس:** أن المعنى: لنحسِنَنَّ إليهم في الدنيا).(٤)

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٠٥/١٧، ٢٠٦).

(٢) تفسير السمرقندي (٢٧٤/٢). ومثله قاله الفراء في معاني القرآن (١٠٠/٢).

(٣) الكشف والبيان (١٧/٦).

(٤) زاد المسير (٥٦٠/٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

◈ **التعليق**:

يُتلخص مما سبق أن المفسرين اختلفوا في معنى الحسنة الدنيوية التي حازها المهاجرون رضوان الله عليهم جميعا إلى عدة أقوال، أهمها:

١. إسكانهم المدينة المنورة.

٢. الرزق الحسن، وحصولهم على الغنائم.

٣. النصر على العدوّ.

٤. ما بَقِيَ بعدهم من الثناءِ الحسن، وصارَ لأولادهم من الشَّرف.

والظاهر والله أعلم أن جميع المعاني التي نقلها المفسِّرون في معنى الحسنة الدنيوية التي تفضَّل الله بها على المهاجرين الكرام محتملة، وقد حققها الله تعالى بفضله لهم، وقد نصَّ على ذلك **الإمام القرطبي** رحمه الله بعد أن حكى ستةَ أقوالٍ في معنى الحسنة هنا قائلا: (وكل ذلك اجتمعَ لهم بفضل الله، والحمد لله).[١]

ويَجْمَعُ **ابن كثير** رحمه الله بين أشهر قولين لدى المفسِّرين في معنى الحسنةِ –وهما (إسكان المهاجرين المدينة، والرزق الحسن)– فيقول: (ولا مُنافاةَ بين القولين، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم؛ فعوَّضهم الله خيرا منها في الدنيا، فإن من ترك شيئا لله عوَّضه الله بما هو خير له منه، وحَكَّمَهُم على رقاب العباد، فصاروا أمراءَ حُكَّاما، وكل منهم للمتقين إماما).[٢] وهو ما مال إليه أيضا **الشوكاني** رحمه الله، بعد أن حكى الأقوالَ الخمسةَ الماضية قال: (ولا مانع مِن حَملِ الآيةِ على جميعِ هذه الأمور).[٣]

◈ **الموضع الثالث**: **قوله تعالى**:

﴿**قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[الزُّمَر: ١٠]

---

(١) المصدر السابق نفسه.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٧٢/٤).
(٣) فتح القدير (١٩٦/٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأمر الله رسوله ﷺ أن يُعْلِمَ المتقين الذين عبدوا الله تعالى، وأحسنوا بجملة الأعمال الحسنة في الدنيا بأنهم فائزون بالخير العظيم والفضل الكبير، والذي مِن جملته حسنة الدنيا.

❋ أولا: المقصودون في الآية الكريمة:

ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالمتقين في هذا الموضع هم أصحاب رسول الله ﷺ، وبعضهم ذهب إلى تخصيصهم بالمهاجرين إلى الحبشة فقط.

قال السمرقندي رحمه الله: (يعني: أصحاب النبيّ ﷺ).[١]

وقال ابن عباس رضي الله عنه: يريد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والذين خرجوا معه إلى الحبشة.[٢]

ولا مانع مِن حمل الآية على جميع أصحاب رسول الله ﷺ، بل وعلى جميع المؤمنين، والله أعلم.

❋ ثانيا: احتمال الآية الكريمة لمعنيين:

حكى المفسرون في معنى الآية وجهين[٣]:

الأول: معناه: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الآخرة، وهي الجنة.[٤]

الثاني: للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا، فيكون ذلك زائدا على ثواب الآخرة.[٥]

❋ ثالثا: المقصود بحسنة الدنيا في الآية الكريمة:

---

(١) تفسير السمرقندي (١٧٩/٣).

(٢) المحرر (٥٢٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن (٢٤٠/١٥).

(٣) ذكر جل المفسرين هذين الوجهين في تفسير الآية الكريمة، ينظر: جامع البيان (٢٦٩/٢١)، والنكت والعيون للماوردي (١١٩/٥)، وتفسير السمعاني (٤٦١/٤)، والمحرر (٥٢٣/٤)، والكشاف (١١٧/٤).

(٤) رجح هذا الوجه بعض المفسرين، منهم: ابن عطية في المحرر (٥٢٣/٤)، وابن جُزِي في التسهيل لعلوم التنزيل (٢١٨/٢)، والشوكاني في فتح القدير (٥٢٠/٤).

(٥) مال إلى هذا الوجه الرازي رحمه الله في مفاتيح الغيب (٤٣٠/٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلامنا عن الحسنة الدنيوية في هذا الموضع ينبني على الوجه الثاني، وهو أن المعنى: للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدُّنيا، وأن "في هذه الدنيا" متعلق بحسنة، وهذه أقوال طائفة مِن المفسرين عن معنى الحسنة التي ينالها المحسنون:

قال **السُديّ** رحمه الله: (العافية والصحة).[١]

وحكى **الماوردي** رحمه الله أربعة أقوال -تفريعا على الوجه الثاني- فقال: (وفيما أريد بالحسنة التي لهم في الدنيا أربعة أوجه: أحدها: العافية والصحة، قاله السدي. الثاني: ما رزقهم الله من خير الدنيا، قاله يحيى بن سلام. الثالث: ما أعطاهم من طاعته في الدنيا وجنته في الآخرة، قاله الحسن. الرابع: الظفر والغنائم، حكاه النقاش. ويحتمل خامساً: إن الحسنة في الدنيا الثناء).[٢]

وقيل: الحسنة التي لهم في الدنيا: موالاة الله إياهم وثناؤه عليهم.[٣]

وقال **ابن عطية** رحمه الله: (وهي العاقبة والظهور، وولاية الله تعالى).[٤] وقيل: نور القلب وبهاء الوجه.[٥]

وهكذا نجدُ أن هذا الموضع احتمل الحسنة الدنيوية، واحتمل الحسنة الأخروية أيضا، وعلى كلٍّ فإنَّ عباد الله المتقين وعدهم الله ربُّ العالمين في غير ما موضع بحصول خيري الدنيا والآخرة معا، هذا بغض النظر عن الخلاف الذي وقع بين المفسرين عندما تعرضوا لتفسير هذه الآية الكريمة.

---

(١) جامع البيان (٢٦٩/٢١)، والكشف والبيان (٢٢٥/٨).

(٢) النكت والعيون (١١٩/٥).

(٣) الهداية لمكي بن طالب (٦٣١٠/١٠).

(٤) المحرر (٥٢٣/٤).

(٥) غرائب القرآن للنيسابوري (٦١٨/٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ المطلب الرابع: سؤال المؤمنين الحسنة الدنيوية، والمراد بها.

وفيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١)

يأتي هذا الموضع في سياق الحديث عن الحج ومناسكه، وارتباط هذه الآية الكريمة بما قبلها ارتباط وثيق تجدر الإشارة إليه سريعا.

قبل هذه الآية المباركة قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾(٢)

قال **الطبريُّ** رحمه الله: (يعني بذلك جلّ ثناؤه: فإذا قَضيتم مناسككم أيها المؤمنون فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا، وارغبوا إليه فيما لديه من خير الدنيا والآخرة بابتهال وتمسكن، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصًا ولطلب مرضاته، وقولوا:" ربنا آتنا في الدنيا حَسنةً وفي الآخرة حَسنة وقنا عذاب النار"...).(٣)

ثم روى **الطبري** رحمه الله عدة آثار عن جماعة من المفسرين، منها: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" فمن الناس من يقول رَبنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق"، قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراة فيدعون فيقولون:" اللهم اسقنا المطر، وأعطنا على عدونا الظفر، ورُدَّنا صَالحين إلى صالحين!

وقال ابن زيد(٤) في قوله:" فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا"، قال كانوا أصنافًا ثلاثة في تلك المواطن يومئذ: رسول الله ﷺ، وأهلُ الكفر، وأهلُ النفاق. فمن الناس من يقول:" ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خَلاق" إنما حجوا للدنيا والمسألة، لا يريدون الآخرة، ولا يؤمنون بها ومنهم من يقول: "ربنا آتنا في الدنيا

---

(١) سورة البقرة: ٢٠١.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٠.

(٣) جامع البيان للطبري (٤/٢٠١).

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ المدنيّ، روى عن أبيه، وابن المنكدر، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (١/٢٧١).

حَسنة"، الآية قال: والصنف الثالث:" ومنَ الناس مَن يُعجبك قوله في الحياة الدنيا" الآية.(١)

* المراد بحسنة الدنيا في الآية.

اختلفت عبارات المفسرين حول المقصود بالحسنة في الدنيا، وتعددت أقوالهم في ذلك، وفيما يلي استعراض لأهم أقوالهم.

١. طلب العافية.

وهو منسوب إلى قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. عن قتادة في قوله:" ربنا آتنا في الدنيا حسنةً"، قال: (في الدنيا عافيةً). قال قتادة: وقال رجل:" اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا"، فمرض مرضًا حتى أضنى على فراشه، فذكر للنبي ﷺ شأنُه، فأتاه النبي ﷺ، فقيل له: إنه دعا بكذا وكذا، فقال النبي ﷺ: "إنه لا طاقة لأحد بعقوبة الله، ولكن قُل:" ربنا آتنا في الدنيا حَسنة وفي الآخرة حَسنة وقنا عَذاب النار". فقالها، فما لبث إلا أيامًا أو: يسيرًا حتى بَرَأ.(٢)

٢. العلم والعبادة والرزق الطيب.

وهو مرويٌّ عن الحسن والثوري. قال الحسن: (الحسنة في الدنيا: العلمُ والعبادةُ). وروي عنه قريبا من هذا المعنى، فقال: (الحسنة في الدنيا: الفهمُ في كتاب الله والعلم). وعن الثوري قال: (الحسنة في الدنيا: العلمُ والرزق الطيب).(٣)

٣. المال.

وهو مروي عن ابن زيد والسدي.(٤)

٤. المرأة الصالحة.

وهو مروي عن علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ومحمد بن كعب القرظي، ويزيد بن مالك.(٥)

---

(١) جامع البيان للطبري (٤/٢٠١، ٢٠٢).

(٢) الطبري (٤/٢٠٣). وينظر: النكت والعيون للماوردي (١/٢٦٣)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/٢٣٢). والحديث المذكور جاء نحوه في صحيح مسلم، وسيأتي عند الحديث على فضل الدعوة بطلب حسنة الدنيا إن شاء الله.

(٣) جامع البيان (٤/٣٠٥)، والنكت والعيون (١/٢٦٣).

(٤) جامع البيان (٤/٢٠٥)، والكشف والبيان (٢/١١٥)، والنكت والعيون (١/٢٦٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢/٣٥٨)، وتفسير القرآن للسمعاني (١/٢٠٤)، وزاد المسير (١/١٦٨).

٥. **التوفيق والعصمة.**
٦. **أولادا أبرارا.**
٧. **الدين واليقين.**
٨. **الثبات على الإيمان.**
٩. **الإخلاص.**
١٠. **حلاوة الطاعة.**[١]
١١. **صحبة الصالحين.**
١٢. **اتباع السنة.**
١٣. **ثناء الخلق.**[٢]
١٤. **حفظ الإيمان.**

قال القشيري رحمه الله: (إنما أراد بها حسنة تنتظم بوجودها جميع الحسنات، والحسنة التي بها تحصل جميع الحسنات فى الدنيا- حفظ الإيمان عليهم فى المآل؛ فإنّ من خرج من الدنيا مؤمنا لا يخلد فى النار، وبفوات هذا لا يحصل شيء).[٣]

١٥. **القناعة.**[٤]
١٦. **المُنَى.** عن سالم بن عبد الله بن عمر.[٥]

◈ التعليق:

يلاحظ في هذه الأقوال السابقة في تعيين حسنة الدنيا التقارب الكبير، وليس بينها ثمة تعارض، بل هو من باب ضرب المثل على حسنة الدنيا، ومن باب تعداد نماذج على معنى حسنة الدنيا، وهذا ما قرره كبار المفسرين، وهذه طائفة مِن أقوالهم:

قال **الطبري** رحمه الله بعد أن ذكر طرفا من أقوال المفسرين في معنى الحسنة في الدنيا: (والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله، ممن حجَّ بَيته، يسألون ربهم الحسنة في الدنيا، والحسنة في الآخرة،

---

(١) الكشف والبيان (١١٥/٢)، والبحر المحيط (٣١٠/٢).
(٢) البحر المحيط (٣١٠/٢).
(٣) لطائف الإشارات (١٦٨/١).
(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي (٢٤٢/٥).
(٥) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٩٢/١١).

وأن يقيهم عذاب النار. وقد تجمع "الحسنةُ" من الله عز وجل العافيةَ في الجسم والمعاش والرزق وغير ذلك، والعلم والعبادة).[١]

وقال **الواحدي** رحمه الله: (ولفظ الحسنة في الآية منكّرة مبهمة محتملة لكل حسنة من الحسناتِ على البدل).[٢]

وقال **ابن عطية** رحمه الله: (واللفظة تقتضي هذا كله، وجميع محابّ الدنيا).[٣]

وقال **القرطبي** رحمه الله: (والَّذي عَلَيهِ أَكثَرُ أَهْلِ العلمِ أَنَّ المُرَادَ بِالحَسَنَتَينِ نِعَمُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ. وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، فإنَّ اللَّفظَ يَقتَضِي هَذَا كُلَّه).[٤]

وقال **ابن كثير** رحمه الله: (الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا).[٥]

وقال **الألوسي** رحمه الله: (والظاهر أنَّ الحسنة وإن كانت نكرة في الإثبات، وهي لا تعم؛ إلا أنها مطلقة فتنصرف إلى الكامل، والحسنة الكاملة في الدنيا ما يشمل جميع حسناتها، وهو توفيق الخير. وبيانها بشيء مخصوص ليس من باب تعيين المراد؛ إذ لا دلالة للمطلق على المقيد أصلا، وإنما هو من باب التمثيل).[٦]

◈ **وخلاصة القول:** إن تَعَدُّد أقوال السادة المفسرين حول تعيين معنى حسنة الدنيا تعدد مقبول، ويمكن قبولُ تلكم الأقوال جميعها؛ إذ لا حَرَجَ على فضلِ الله تعالى، فلا يبعد أن يَمُنَّ الله تعالى على مَن طلب منه الحسنة في الدنيا بكل ما يُصلِح شؤونَ دينه ودنياه، فمَن رضي عنه مولاه عافاه، وأمَّنَه وهداه، وعصمه وأغناه، وثبَّته وحَقَّقَ إيمَانه، ورفع ذكره، وزَوَّجَه وأصلح له زوجه، وبارك ولده، وجعل الصالحين رفقته، والله أعلم.

---

(١) جامع البيان (٢٠٦/٤).
(٢) البسيط (٦١/٤).
(٣) المحرر الوجيز (٢٧٧/١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٤٣٢/٢).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٥٥٨/١).
(٦) روح المعاني (٤٨٦/١).

❋ طلب حسنة الدنيا من جوامع الأدعية المأثورة.

مما يتفرع عن هذه الآية التي جمعت فيها الفئة المؤمنة بالله بين طلب خيري الدنيا والآخرة معا؛ أن السنة وردت بالترغيب في الإكثار من الدعاء بطلب حسنة الدنيا والآخرة، ولا غضاضة في ذلك؛ إذ السنَّة النبوية شارحة ومفسرة للقرآن الكريم، ومِن ثَمَّ كان النبي ﷺ يكثر من هذه الدعوة، ثم تعلَّمَها الصحابة من نبينا ﷺ.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»[١] (وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيها).[٢]

قال الإمام **الطيبي** رحمه الله: (لعلَّه صلوات الله عليه إنما كان يكثر هذا الدعاء؛ لأنه من الجوامع التي تَحُوزُ جميع الخيراتِ الدنيوية والأخروية. وبيانه أنه ﷺ كرر الحسنة ونكَّرها تنويعاً، وقد تقرر في علم المعاني أن النكرة إذا أُعِيدَت كانت الثانية غير الأول، فالمطلوب في الأولى الحسنات الدنيوية، من الاستغاثة والتوفيق والوسائل إلي اكتساب الطاعات والمبرات، بحيث تكون مقبولة عند الله تعالى، وفي الثانية ما يترتب عليها من الثواب والرضوان في العُقْبَى).[٣]

وتأمّل معي قول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أكثر دعاء النبي ﷺ... ثم تأمّل بعد ذلك قول الراوي واصفا حال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي حفظ وفهم من رسول الله ﷺ فضل هذه الدعوة المباركة، وأنها من أجمع الدعوات التي لا بد لكل مسلم أن يحرص عليها.

وفي صحيح مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، عاد رجلا من المسلمين قد خَفَتَ فصار مثل الفَرْخِ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنتَ معاقبي به في الآخرة، فعجِّلْه لي في الدنيا،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة» (٨٣/٨) برقم: ٦٣٨٩.
(٢) سنن أبي داود، باب في الاستغفار (٨٥/٢) برقم: ١٥١).
(٣) شرح مشكاة المصابيح (١٩٢٥/٦).

فقال رسول الله ﷺ: "سبحان الله لا تطيقه – أو لا تستطيعه – أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار" قال: فدعا الله له، فشفاه.(١)

قال النووي رحمه الله: (وفيه فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).(٢)

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قيل له إنَّ إخوانَك أتوك مِن البَصرةِ – وهو يومَئذٍ بِالزَّاوِيَةِ – لِتدعُو اللَّهَ لَهم قال: اللهُمَّ اغفر لنا وارحمنَا، وآتنَا في الدنيا حسنة وفِي الآخرَةِ حَسَنَةً وقِنا عَذاب النَّار. فاستزادُوه فَقال مِثلها، فَقال: إِنْ أُوتِيتُم هذا فَقد أُوتيتُم خَيرَ الدُنيا والآخِرة.(٣)

وتأمّل معي مرة ثانية في صنيع سيدنا أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف اصطبغ بهذا الدعاء العظيم صبغة كاملة، فلا يتركه مطلقا، لا لنفسه ولا لغيره، فهؤلاء الزُّوَّار أتوا من البصرة إلى المدينة المنورة، وتحمَّلُوا متاعب السفر، جاءوا طامعين في دعوة صالحة من رجل صالح، رافق النبي ﷺ رَدَحًا مِن الزمان، فخدمه عشر سنين، وتعَلَّم مِنه، وأخذ مِن سَمتِهِ الشريف، فلم يَزِدْ على هذه الدعوة الجامعة شيئا، فكأنهم تقالُّوها، أو لم يدركوا حقيقة هذه الدعوة المأثورة التي تجمع كلَّ خير؛ فطلبوا الزيادة، قائلين –كما ورد في رواية أخرى–: "زِدْنا" فأعادها، فقالوا مرة ثانية: زِدنا، فلم يقل إلا مثلها، مكررا إياها!

وكأنه لَمَحَ في وجوهِهم شيئا من الاستغراب، فأراد أن يُزيلَه عنهم، وأن يعلِّلَ لهم اقتصاره على تلكم الدعوة الجليلة، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنْ أُوتيتم هذا فقد أُوتيتم خير الدنيا والآخرة).

فلله دَرُّه من صحابي جليل فقيه!

ومن فضائل هذا الدعاء كذلك: أنْ خَصَّه النبي ﷺ في الطواف بالكعبة المشرفة، ففي سنن أبي داود مِن حديث عبد الله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركنين: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»(٤)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، (٢٠٦٨/٤) برقم: ٢٦٨٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/١٧).

(٣) الأدب المفرد ص: ٣٢٩، برقم: ٦٣٣.

(٤) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب الدعاء في الطواف (١٧٩/٢) برقم: ١٨٩٢، وصححه الحاكم والذهبي انظر: المستدرك (٣٠٤/٢).

وخلاصة القول: إنّ هذا الدعاء من أجمع الأدعية المأثورة، وفيه عدة فضائل وميزات منها:

١- أنه دعاء قرآني نبوي، فهو مأثور من الوحيين معا.

٢- دعاء يجمع للعبد بين خيري الدنيا والآخرة.

٣- دعاء يُحَصِّلُ به العبدُ العافية والشفاء بإذن الله.

٤- من مواطنه: عند الطواف بالبيت الحرام.

٥- ينبغي للعبد أن يتأسَّى بالفئة المؤمنة التي جمعت في دعائها بين خيري الدنيا والآخرة. قال أهل المعاني: والفائدة في الإخبار عنهم بهذا الدعاء: الاقتداء بهم فيه، وذلك أنه لَمَّا حذَّر من الدعاء الأول رَغَّب في الثاني.[١]

(١) البسيط للواحدي (٦٤/٣).

* تتمة في بيان إجابة دعاء مؤمني الأمة المحمدية في حصول الحسنة الدنيوية، وتقييده في حق بني إسرائيل.

ربط **الواحدي** رحمه الله بين سؤال الحسنة الدنيوية مِن المؤمنين من أمة سيدنا محمد ﷺ، وبين سؤالها مِن بني إسرائيل، فقال: (وسؤالهم الحسنة في الدنيا والآخرة كسؤال المؤمنين من هذه الأمة، حيث أخبر الله عنهم في قوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً})[١] [البقرة: ٢٠١].

ومِن اللائق هنا أيضا المقارنة بين جواب الدعاء لكلٍّ مِن الأمَّتين، فإن المتأمِّل في لِحَاقِ الآيتين، وفي جواب الطلبين يُدركُ بوضوح فضيلةَ الأمة الإسلامية.

فإذا نَظرنَا إلى الآية التالية مباشرة بعد طلب المؤمنين الحسنة في الدنيا نَجد الجوَابَ الربَّانيَّ، والعطاءَ الإلهيَّ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ**﴾[البقرة:٢٠٢]، والمراد بها إجابة دعوتهم، كما قال أهل التفسير المعتبرين، ومِن ذلك على سبيل المثال:

قال **الزَّجَّاجُ** رحمه الله: (أي: دُعاؤُهم مستجابٌ؛ لأنَّ كَسْبَهُم ههنا الذي ذُكِر هو الدعاءُ).[٢]

وقال **السمعاني** رحمه الله: (قَوْله تَعَالَى: {أُولَئِكَ لَهُم نصيب} أَي: الاستجابة {مِمَّا كسبوا} من الدُّعَاء).[٣]

وقال **البغوي** رحمه الله: (قَوْلُهُ تَعَالَى: {أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ} حَظٌّ {مِمَّا كَسَبُوا} مِنَ الْخَيْرِ وَالدُّعَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ).[٤]

وقال **القاسمي** رحمه الله: (لهم نصيب مما دعوا به، نعطيهم منه في الدنيا والآخرة. وسمّي الدعاء كسبا لأنه من الأعمال وهي موصوفة بالكسب).[٥]

---

(١) البسيط (٣٩١/٩). وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣٧٩/١٥).
(٢) معاني القرآن للزجاج (٢٧٥/١).
(٣) تفسير السمعاني (٢٠٥/١).
(٤) معالم التنزيل للبغوي (٢٣٣/١).
(٥) محاسن التأويل (٧٩/٢).

بينما إذا انتقلنا إلى سورة الأعراف، وإلى سياق طلب بني إسرائيل الحسنة الدنيوية – ضِمْنَ بقية الدعاء الذي دعا به نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ- نجد أنَّ الله تعالى رَدَّ على هذا الدُّعاءِ بقوله جَلَّ وعلا: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... الآية﴾ [الأعراف:١٥٦:١٥٧]

قال **الطبري** رحمه الله:(وهذا القول إبانةٌ من الله جلَّ ثناؤه عن أنّ الذين وَعَد موسى نبيَّه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التي وصفَها جل ثناؤه بقوله: "ورحمتي وسعت كل شيء"، هم أمة ﷺ، لأنه لا يعلم لله رسولٌ وُصف بهذه الصفة أعني "الأمي" غير نبينا محمد ﷺ. وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل).[١]

وقال **السمعاني** رحمه الله: (وهذه فضيلة عظيمة لهذه الأمة، وذلك أن موسى – صلوات الله عليه – سأل أن يكتب الرحمة له ولأمته، فكتبها لأمة محمد).[٢]

وقال **ابن عجيبة** رحمه الله: (يقول الحق جلّ جلاله: في جواب سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ ممن أخذّته الرجفة وغيرهم، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ في الدنيا للمؤمنين والكافرين، وفي الآخرة مخصوصة بالمؤمنين، فَسَأَكْتُبُها كتابة خاصة لا تليق بكم يا بني إسرائيل، إنما تليق **بالأمة المحمدية** الموسومة بالآداب المرضية، الذين يَتَّقُونَ الكفر والمعاصي، وإن وقعت هفوة بادروا إلى التوبة، وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ، خصصها بالذكر لأنها كانت أشق عليهم. وَالَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ فلا يكفرون بشيء منها، بل يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء، وليس ذلك لغيرهم. ولذلك خصهم الله بهذه الرحمة فَنَصرَهم على جميع الأمم، وأعلى دينهم على جميع الأديان، ومكّن لهم مالم يمكن لغيرهم).[٣]

وهكذا نجد الفارق واضحا بين الأمة المحمدية وبين غيرها مِن الأمم، وليس هذا من باب التعصب أو الادِّعاء، بل هو محضُ فضلِ الله تعالى، والله يختص برحمته من يشاء.

---

(١) جامع البيان (١٦١/١٣).
(٢) تفسير السمعاني (٢٢١/٢).
(٣) البحر المديد (٢٦٦/٢).

على أنَّ الله تعالى وعدَ جميع مَن آمَن به، وبرسله جميعا بالخير العميم، والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٦٢]

كما وعد النبي ﷺ مَنْ آمَنَ مِن أهلِ الكتابِ بنبيه، ثم لما بُعث هو عليه الصلاة والسلام آمن به، وصدَّقه بأنه مِمَّنْ يُعطَى أجرَه مَرَّتين، فعن أبي بردة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ،...الحديث».(١)

فمَن أرَاد رحمةَ الله تعالى، والحسنة الدنيوية بعمومِ خيرها ونفعها في الدين والدنيا؛ فليلزمْ شرع الله، وليلزم أمة محمد ﷺ.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله (٣١/١) برقم: ٩٧.

الخاتمة

في ختام هذه الإطلالة السريعة، والرحلة المنيرة مع معاني حسنة الدنيا في القرآن الكريم، أضع هذه النتائج بين يدي القارئ:

◈ **أولا:** تقاربت أقوال المفسرين قديما وحديثا في تفسير الحسنة الدنيوية.

◈ **ثانيا:** حسنة الدنيا لا يمكنُ حصرها في تفسير واحد، بل الراجح حملها على عموم كل خير يحصل للعبد في دنياه مِن الله تعالى.

◈ **ثالثا:** ما سبق مِن تعدُّدِ أقوال المفسرين في تعيين معنى الحسنة الدنيوية هو مِن باب ضرب المثال فقط، وليس على سبيل الحصر والتعيين.

◈ **رابعا:** ظهر جانب عظيم مِن جوانب إكرامِ الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ، خصوصا، ولأمته ﷺ عموما؛ وذلك بتفضله سبحانه وتعالى عليهم بالحسنة الدنيوية.

◈ **خامسا:** لا تعارض بين طلب المسلم خير الدنيا ونعيمها، وبين طلبه الآخرة، فالفئة الصالحة تجتهد في طلب الاثنين معا.

◈ **سادسا:** مَنْ أرادَ تحصيل الحسنة الدنيوية فليلزم سبيل الصالحين، وليقتفِ آثارهم، وذلك بالدعاء والعلم والعمل.

التوصية:

أوصي عموم المسلمين بضرورة الإكثار مِن القراءة في كتب التفاسير المتنوعة، والاهتمام بها، وبما حوته من كنوز وفيوضات السادة المفسرين، للوصول إلى هدايات القرآن الكريم.

وختاما: الله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصا متقبلا في ميزان حسناتي وحسنات والديَّ ومشايخي ومَن له حق علي، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. الأدب المفرد، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير الزهيري، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي(المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط.

٣. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٤. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

٥. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٦. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد ابن جزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

٧. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

٨. التَّفسِير البَسِيط، للإمام الواحدي، النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

٩. تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر السمعاني (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: الدكتور محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

١٢.جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤.الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٦. زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٧. سنن أبي داود، لأبي داود السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٨. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
١٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، (مكة المكرمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٢٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٢١. طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي الداوودي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ.
٢٣.غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٢٤.فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
٢٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير، محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٢٦.الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير

الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري(المتوفى: ٥٣٨هـ)، لناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٢٨. لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.

٢٩. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٣١. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

٣٢. معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ.

٣٣. معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس الرازي(المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٥. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦. مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٧. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

٣٨. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٣٩. النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٤٠. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.